

شيخ الإسلام
 السيد حسين الجليلي
 قد الله مرقده

هذه المقالة مأخوذة من كتاب
 الغايات والغايات من الأسانيد العالية
 للشيخ محمد عاشق الأبي البرقي

هو المحدث الكبير البطل الجري السيد حسين أحمد بن السيد حبيب الله الشهير بشيخ الإسلام المدني ، ولد في التاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٦ هـ وتلقى مبادئ العلوم في تانده من مديرية فيض آباد (الهند) وهو وطن آبائه ، وسافر إلى دار العلوم الديوندي في سنة تسع بعد ثلاث مائة وألف ، ومكث هناك سبع سنين ، وأخذ الحديث عن شيخ الهند مولانا محمود الحسن الديوندي وتخرج عليه ولازمه مدة طويلة ، وأخذ بعض الكتب عن الشيخ الجليل مولانا خليل أحمد السهارنبوري ، وبايع في الطريقة على يد الإمام الرباني شيخ المشائخ رشيد أحمد الكنكوهي ، ولما هاجر والده إلى المدينة المنورة مع عياله سنة ١٣١٦ هـ رافقه وصحبه في سفره ، وكان والده من أصحاب مولانا الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادي ، ولما وصل مع والده مكة المكرمة لقي شيخ شيخه الحاج

إمداد الله التهانوي قدس سره واستفاد منه واحتفظ بصحبته ، ودخل المدينة المنورة وأقام هناك على قدم صدق وإخلاص وتوكل ، وطلبه شيخه إلى كنيكوه في سنة ١٣١٨ هـ ومكث في الهند عدة أشهر وأجازه شيخه للإرشاد والبيعة والتلقين ، ثم رجع إلى الحجاز ووصل المدينة في محرم الحرام سنة ١٣٢٠ هـ وتصدر للتدريس في مدينة رسول الله ﷺ محتسبا متطوعا، فكان يدرس الحديث والتفسير والفقه من الصباح إلى مابعد العشاء وكان من وصية شيخ الهند قدس سره له أن يلزم التدريس ولا ينظر إلى قلة الطالبين ، لكن الله تعالى وجه الطالبين إليه فكثروا وأخذ منه الجم الغفير ، ولما سافر الشيخ محمود الحسن قدس سره في سنة ١٣٣٣ هـ للحج والزيارة ودخل المدينة لآيمه الشيخ حسين أحمد وقدم معه مكة المكرمة ، وكان ذاك أثناء الحرب العالمية وخروج الشريف حسين وبغية على الدولة العثمانية ، فأسر ولاية الأمر الشيخ محمود الحسن وأصحابه منهم الشيخ حسين أحمد المدني وأسلموهم إلى الحكومة الإنجليزية فنقلتهم إلى مصر ثم إلى مالطة ، ومكثوا هناك أسراء ثلث سنين وشهرين كما بينا في تذكرة شيخ الهند قدس سره ، واغتتم الشيخ حسين أحمد المدني هذه الفرصة للعبادة والمطالعة وخدمة الأستاذ ، وهناك حفظ القرآن ، ولما أطلقوا من الاعتقال وصلوا إلى الهند في سنة ١٣٣٨ هـ وتوفي شيخ الهند قدس سره بعد ستة أشهر من قدومه ، وانتقل الشيخ حسين أحمد إلى سلهت (آسام) ومكث هناك ست سنين يدرس الحديث الشريف ويربّي النفوس ، وينفخ في الناس روح الأنفة والإباء ، وحب الحرية والتخلص من مخالب الإنجليز ، وانتفع به خلائق لا تحصى .

وكان الشيخ الأجل محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله يدرس الحديث نيابة عن شيخ الهند منذ سافر إلى الحجاز ودام على تدريس صحيح البخاري وسنن الترمذي إلى سنة ١٣٤٦ هـ ، ثم انتقل إلى جامعة داهيل (كجرات) فاضطر المجلس الاستشاري

وعلى رأسهم حكيم الأمة مولانا أشرف على التهانوى قدس سره إلى اختيار محدث جليل يقوم لدراسة الحديث ويتولى رئاسة التدريس في جامعة دار العلوم الديوبندية ، فلم يقع في قلبهم إلا البطل الجليل والشيخ النبيل مولانا حسين أحمد المدني قدس سره ، وكان إذ ذاك المشرف على الاهتمام مولانا حبيب الرحمن العثماني رحمه الله تعالى ، فحينما ألحوا عليه وأصرّوا قبل ذلك بشروط اشتراطها ، وقام بتدريس الجامعيين للبخاري والترمذي وتولى رئاسة التدريس ، ولم يزل يدرس الحديث ويرأس الأساتذة إلى أن لَبَّى داعي الله .

وجمع بين التدريس والجهود المتواصلة ضد الاستعمار البريطاني فكان يسافر ويلقي المحاضرات ويسوس المسلمين ويجول في الهند طولا وعرضا ويُبثُّ روح النخوة والإباء في المسلمين ، ويتحمل المشاق ويسهر الليالي في المطالعة والتدريس مع بشاشة دائمة وتواضع مفرط ، وإكرام للوافدين وإرشاد للمسترشدين ، وكان يرأس جمعية علماء الهند ويغضّ الإنجليز بغضا مفرطا ، وألقى خطبا حماسية ضد الاستعمار البريطاني فألقى عليه القبض لثان خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣٦١هـ وبقي معتقلا في سجن مراد آباد وسجن اله آباد سنتين وعدة أشهر ، وهو صابر محتسب متحمل للأذى مشغول بالعبادة والإفادة في السجن ، وأطلق في سادس من رمضان سنة ١٣٦٣هـ فعاد إلى ماكان عليه من كفاح وجهاد، وتعليم وإرشاد وخدمة للعباد والبلاد، حتى اضطر الإنجليز إلى مغادرة الهند ، فغادروا الهند وانقسمت الهند إلى مملكتين (هندوستان وباكستان) في رمضان سنة ١٣٦٦هـ وانفجرت الحروب ووقعت المذابح في مدن الهند وقرائها وكانت الطامة الكبرى في الهند على المسلمين يقتلهم الشيخ والهندوس (المشركون) والتحق جموع كثيرة من المسلمين إلى الباكستان ، وبقي سائر المسلمين في اضطراب الحال وتشتت البال ، فانتفض شيخ الإسلام حسين أحمد المدني واعظا دينيا يجول في القرى والأصوار ، يثير في المسلمين الإيمان بالله والثقة به والتوكل عليه ،

والإعتزاز بالدين ، ويدعوهم إلى الصبر والثبات ومقاومة البلاء ، فنبّت مواعظه في جولاته القلوب المنخلعة وأرسخت الأقدام المتزلزلة ، وزال الخطر وانقشع السحاب ، وبقيت المراكز الدينية على ثبات بعد أن كانت على شرف الزوال ، وبدء المسلمون يعمرّون حياتهم ونشأتهم باستقامة واعتدال .

واعتزل شيخ الإسلام بعد تحويل البلاد إلى الشعب الهندي ، فلم يأخذ منصبا ولم يتصل بالحكومة ورجالها ، واختصه رئيس الجمهورية برتبة فخرية فرفضها ، وعكف على درس الحديث والدعوة إلى الله وتربية النفوس ، كان يجول في أقطار الهند وأرجائها يدعو المسلمين إلى التمسك بالدين واتباع الشريعة الغراء واتباع السنن النبوية ﷺ وإصلاح الحال وإكثار ذكر الله ، وقد عطف الله عليه القلوب والنفوس وغرس حبه في أهل الخير فأقبلوا عليه زرافات ووحدانا ، وسافروا إليه من كل حذب وصوب ، وغلب عليه الخشوع والركة والابتهاال إلى الله تعالى للقاءه حتى وافاه الأجل في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٧٧هـ ، وصلى عليه شيخنا شيخ الحديث مولانا محمد زكريا الكاندهلوى في جم غفير وجمع كثير لا يحصى ، ودفن في جوار أستاذه شيخ الهند محمود الحسن الديوبندى والإمام خجة الإسلام محمد قاسم النانوتوى نور الله مراقدهم . درس صحيح البخارى في دار العلوم الديوبندية ثلاثين سنة تقريبا وتخرج عليه ألوف من العلماء .

وكان شيخ الإسلام حسين أحمد المدنى من نوادر العصر وأفذاذ الرجال صدقا وإخلاصا في علو همة وقوة إرادة ، وشهامة نفس ، وصبر على المكاره ، ومسامحة للأعداء ، يشفع لهم رئيسى في قضاء حوائجهم برحابة ذرع وسعة صدر ، وكانت له نزاهة لا ترقى إليها شبهة ، وهمة لاتعرف الفتور والكسل ، واشتغال دائم لا يتطرق إليه الملل ، كانت أوقاته مشغولة منظمة ، كان إذا صلى الصبح أكل الفطور مع الضيوف الذين يكثر عددهم ، ثم توجه إلى .

دار الحديث ودرس درسا في صحيح البخارى ودرسا في جامع الترمذى ، وقد كان يقرأ هو بنفسه بلحن عربى وصوت واضح جهورى ، ويفيض في الشرح والإلقاء ، ثم ينصرف ويتغذى مع ضيوفه ويقل ، وبعد أن يصلى الظهر يجلس للوافدين ويشرب معهم الشائ ويكتب الرسائل والردود ويلتفت إلى الزائرين والسائلين ، وإذا صلى العصر جلس للضيوف يحدثهم ويونسهم ، وإذا كان في آخر سنة كان يدرس إلى صلاة المغرب ، وكان إذا صلى المغرب قام للنوافل وأطال القراءة والقيام ، ويتفرغ للمسترشدين وأصحاب السلوك ، فإذا صلى العشاء اشتغل بدرس صحيح البخارى ، إلى أن يمضى من الليل ثلثه أو نصفه ، ثم يدخل البيت وأخذ حظه من الراحة ، ثم قام يتطوع ويطلق القيام ، ويشغل بالذكر والمراقبة ، ويكثر الدعاء والابتهاال وينشد الأبيات الرقيقة المرفقة في مناجاة ربه تعالى إلى أن يصبح فيصلى ، وإذا صلى إماما في سفر وحضر التزم السنن وقرأ من السور ماصح في الحديث وثبت عن النبي ﷺ لا يخل بذلك ، وكان في آخر عمره غلبت عليه الحمية الدينية والغيرة للشرع والسنة النبوية صلى الله على صاحبها وسلم ، فكان لا يتحمل تفریطا فيها وقد تعثر به الحدة في ذلك ويعلو صوته ، ويشدد الانكار على من خالف السنة أو خلق اللحية أو استخف بشعائر الاسلام

وكان شديد الحب لأساتذته ومشائخه شديد الغيرة فيهم . وله من التأليفات «نقش حیات» ذكر فيه أحوال أسرته وأيام تعلمه ثم هجرته مع أبيه إلى المدينة المنورة ودراسته في المدينة المنورة ثم اعتقاله مع شيخه وغير ذلك ، وله «الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب» رد فيه على أحمد رضاخان البريلوى في تكفيره أعلام العلماء ، وقد طبعت مكاتيبه في ثلث مجلدات جمع فيه بعض خلفائه ما كان يكتب إلى المسترشدين وغيرهم ، وجمع بعض تلامذته تقريره الدراسى لسنن الترمذى وسماه هدية المجتئى من تقرير

الحبر المديني وهو مطبوع لم يكمل .

وكان رحمه الله تعالى رئيس جمعية علماء الهند وقائدها ، وكان مدة رئاسته قريبا من عشرين سنة ، ومع اشتغاله بدروس الحديث ورئاسة التدريس ورئاسة الجمعية كان يرى السالكين ويرشد المسترشدين مخاطبة ومكاتبة مع كثرة الضيوف وهجوم الأشغال ، وقد بلغ عدد المتخرجين لديه من الحديث الشريف إلى أربعة آلاف تقريبا ، كما تخرج عليه خلفائه في الطريقة ويزيد عددهم على مائة وستين رجلا ، وهم مشغولون في ما استخلفهم في دراسة الحديث وإشاعة الدين وأخذ البيعة والتلقين ، ولقد بلغت ينابيع فيوضه إلى أرجاء الهند شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، بل إلى خارج الهند كأفغانستان وأفريقية وبورما وبنغلاديش وغيرها .

وكان له أربع إخوة : السيد محمد صديق والسيد أحمد والسيد جميل أحمد والسيد محمود أحمد ، وكانت وفياتهم بالمدينة المنورة رحمهم الله تعالى ، وأسس السيد أحمد مدرسة العلوم الشرعية ليتامى المدينة المنورة (صلى الله تعالى على صاحبها وسلم) وكانت هذه المدرسة في حوار المسجد النبوي الشريف ، ونزل فيها شيخ المشايخ مولانا خليل أحمد السهاري حين هاجر إلى المدينة المنورة في ١٣٤٤ هـ وكتب آخر المجلد من بذل المجهود حين إقامته فيها ، وأدخلت ساحتها الآن في مشروع توسعة المسجد النبوي ونقلت إلى محل آخر بعيدا من المحل الأول ، ولقد خلف شيخ الإسلام حسين أحمد المديني رحمه الله تعالى ثلاث بنين أكبرهم فضيلة الشيخ السيد محمد أسعد المديني وأوسطهم السيد محمد أرشد المديني وأصغرهم السيد محمد أسجد المديني حفظهم الله ، تأنبهم محدث جليل درس صحيح مسلم عدة سنين في الجامعة القاسمية في مراد آباد ، ثم قدم إلى دارالعلوم الديوبندية وهو يدرس فيها أيضا صحيح مسلم ، أعلى الله درجات شيخ الإسلام المديني وأبقى ذريته وتلاميذه وخلفاءه على ممر الدهور والأعوام قائمين بالحق مجاهدين به ، محافظين على دعاية الكتاب والسنة ونشر علوم النبوة^(١) (صلى الله على صاحبها وسلم) .